وعلى هذا فيكون الرسول عليه الصلاة والسلام أقسم؛ لأن الأمر مما يستغرب؛ ليثبت في قلوب الناس.

٢- أن من ليس له أب فينسب إلى أمه، وليس في الناس من ليس له أب -حسًّا- إلا عيسى ابن مريم، وأما حواء فليس لها أم، وآدم ليس له أم ولا أب، وسائر الناس من أم وأب، فالأحوال أربع.

فإذا كان الإنسان ليس له أب شرعًا كولد الزنا، فإنه ينسب إلى أمه، لكن إذا قال قائل: إن هذا سيحدث له أثرًا نفسيًّا يتأثر به، أفلا يحسن أن ننسبه إلى أبٍ ونقول: ابن أبيه، فيقال: هذا -أيضًا- لا يرفع المشكلة؛ لأنه إذا قال: يا فلان ابن أبيه، فسيقول الناس: من أبوه؟ فتعود المشكلة، فننسبه إلى وصف، أو اسم يصدق على كل واحد، مثل عبدالله، عبدالرحمن، عبدالعزيز، عبدالوهاب، وما أشبه ذلك، ولا يضر هذا.

٣- أن عيسى عليه السلام ينزل حكمًا يحكم بين الناس، وأيضًا حَكَمًا مُقْسِطًا، يعني: عادلًا في حكمه، وهذا قد يشعر بأنه -في ذلك الوقت- أن الأحكام تكون جائرة، أو تكون فوضى، ليس هناك حكام يتحاكم الناس إليهم، فالله أعلم.

وقوله: «**فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ**» والصليب يعني: مكان الصلب الذي صلب عليه عيسى -كما يزعمون-؛ لأن اليهود يدَّعون أنهم قتلوا عيسى ابن مريم، وصلبوه، والنصارى يدعون أنه قتل، وصلب مفتديًا بنفسه للبشرية؛ ولهذا يعظمون الصليب!

فعيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، ينزل فيكسر هذا الصليب، وكسره يشمل أمرين اثنين:

الأول: الكسر المعنوي، وذلك بالمنع من عبادته.

والثاني: الكسر الحسي، وذلك بكسر نفس الصُّلْبان.

وقوله: «**وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ**» الذي يأكله النصارى، ويدَّعون أنه حلال لهم.

وقوله: «**وَيَضَعُ الجِزْيَةَ**» ومعنى وضعها: أنه لا يقبلها -كما جاء في لفظ حديث آخر- أنه لا يقبل الجزية من أي إنسان ولا يقبل إلا الإسلام.

وقوله: «**وَيَفِيضُ المَالَ**» الظاهر أن هذه الجملة -«**وَيَفِيضُ المَالَ**»- معطوفة على ليوشكن يعني: أن المال لا يفيض في ذلك الوقت -عند نزول عيسى-؛ بل يفيض قبل ذلك، يعني: أنه يكثر حتى لا يقبله أحد، حتى إن الرجل يخرج بهديته، أو صدقته فلا يجد مَن يقبلها، وهذا فيضان عظيم في المال، ولكن كيف ذلك؟ الله أعلم.

قد يكون فيضُ المال -إذا جعلناه في زمن عيسى، حيث إنه لا يقبل إلا الإسلام- يكون هناك حروب وجهاد، فتُغْنَم أموال الكفار، وتفيض على المسلمين، حتى يشبعَ الناس، ولا يَقبل أحدٌ من أحد مالًا.

ويستفاد من بقية الألفاظ: أن على الإنسان إذا تكلم بكلام -خبرًا أو إنشاء- ورأى مِنَ المخاطب شيئًا من التردُّد، أن يُحِيله إلى ما لا يَتردَّد فيه؛ لقول أبي هريرة رضي الله عنه: اقرأوا -إن شئتم- ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء:١٥٩].

وفي بعض الألفاظ: «**لَتُتْرَكَنَّ القِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا**» هذا -أيضًا- من آيات الرسول عليه الصلاة والسلام، والمراد بالقلاص: الإبل، تُتْرَك فلا يُسعى عليها.

وإذا طبقنا هذا على وقتنا الحاضر، وجدنا أنه مطابق، فالقلاص الآن مهجورة، والسير على الفُلك البري، والبحري، والجوي.

وقوله: «**وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ، وَالتَّبَاغُضُ، وَالتَّحَاسُدُ**» هذا -أيضًا- مما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام، أن الناس سيكونون على قلب رجل واحد، لا شحناءَ بينهم، ولا تباغضَ، ولا تحاسُدَ، وهذا يدلُّ على سلامة السَّرِيرة.

وفي الألفاظ الأخرى: أن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل، فيجد المسلمين خلف إمامٍ لهم، والأصلُ إن الإمام هو الأمير -هذا هو الأصل- فالأمير يكون إمامًا للناس كما في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فيُطلب من عيسى أن يتقدم، ولكنه لا يتقدم، ويقول: إمامكم منكم، كما في اللفظ الذي ذكره المؤلف رحمه الله.

* * *

باب بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لا يُقْبَلُ فِيهِ الإِيمَانُ

١٥٧- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ؛ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ -يَعْنُونَ: ابْنَ جَعْفَرٍ-، عَنِ الْعَلَاءِ -وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ-، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ؛ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فَيَوْمَئِذٍ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾**».

١٥٧- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو كُرَيْبٍ؛ قَالُوا: حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ. (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ؛ كِلَاهُمَا عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ ذَكْوَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم. (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم؛ بِمِثْلِ حَدِيثِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم.

١٥٨- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. (ح) وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُوسُفَ الأَزْرَقُ؛ جَمِيعًا عَنْ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ -وَاللَّفْظُ لَهُ-، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: «**ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ**

كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا؛ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ».

١٥٩- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ؛ جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ -قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ-، حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التَّيْمِيِّ -سَمِعَهُ فِيمَا أَعْلَمُ-؛ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم قَالَ يَوْمًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ؛ فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»؛ فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم «أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟! ذَاكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾».

١٥٩- وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَانٍ الْوَاسِطِيُّ، أَخْبَرَنَا خَالِدٌ -يَعْنِي: ابْنَ عَبْدِ الله-، عَنْ يُونُسَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم قَالَ يَوْمًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟»، بِمِثْلِ مَعْنَى حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ.

١٥٩- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ -وَاللَّفْظُ لأَبِي كُرَيْبٍ-؛ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم جَالِسٌ، فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ

قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ فَتَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا»؛ قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ الله: (وَذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا).

١٥٩- حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ؛ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا -وَقَالَ الأَشَجُّ: حَدَّثَنَا- وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم عَنْ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾؛ قَالَ: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ العَرْشِ»[١].

---

[١] هذه الأحاديث في بيان الزمن الذي لا يُقبل فيه الإيمان ولا التوبة، فإن الإيمان له حدٌّ، والتوبة لها حدٌّ، والإيمان لا يكون إلا بأمور الغيب، فإذا صار الأمرُ مشاهدةً لم ينفعِ الإيمانُ، ولذلك إذا حضَر الأجل، ورأى الإنسان الشيء الغائب يقينًا فآمن، فإنه لا ينفعه إيمانه، فها هو فرعون لما أدركه الغرق، وشاهد اليقين؛ قال -فيما ذكر الله سبحانه وتعالى عنه-: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠]، فقيل له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ -يعني: الآن تؤمن؟!- ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٩١]، يعني: ولا إيمان لك، ولا قبول.

كذلك إذا طلعت الشمس مِن مغربها، أيقن الناس أن لهذا الكون خالقًا، وصار الأمر المغيَّب مشاهدًا، فيؤمنون كلهم، ويتوب المذنِب، ولكِنْ لا ينفع نفسٌ إيمانَها ما لم تكن آمنت مِن قَبل، ولا توبتها -أيضًا- كما جاء ذلك في السُّنة.

فالإيمان في ذلك الوقت لا ينفع بنص القرآن، والتوبة لا تنفع بنصِّ السُّنة «لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَخْرُجَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[1].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا» قال بعض العلماء رحمهم الله: إن (أو) هنا بمعنى الواو، أي: لم تكن آمنت وكسبت في إيمانها خيرًا؛ لأن الإيمان قد يكون في القلب، ولكن قد لا يَكسب خيرًا، فلابدَّ أن تؤمن، وأن تكسب في إيمانها خيرًا.

وقيل: بل هي للتنويع، والمعنى: لم تكن آمنت من قبل، وإن لم تعمل، أو آمنت وكسبت في إيمانها خيرًا.

فتُفيد الآية أنَّ مَن آمَن -ولو قبل طُلوعها بلحظة، وإن لم يعمل خيرًا- فإيمانه مقبول، فإن آمن وعمل خيرًا فهو -أيضًا- من باب أولى.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه -بجميع ألفاظه-؛ وكذلك حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه: دليل على أن الشمس تسير على الأرض، بمعنى: أنها تدور على الأرض؛ لقوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟» وأنه بدورانها يكون اختلاف الليل والنهار، **وهذا هو الذي نعتقده**؛ لأنه ظاهر كلام الله عزَّ وجلَّ، والله سبحانه وتعالى هو الخالق، وقد قال الله تعالى في كتابه -مقرِّرًا عِلمه بمخلوقاته- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، فالخالق أعلم بمخلوقاته من غيره، وظاهر القرآن والسُّنة واجب الاعتقاد، ما لم يَرِد أمرٌ يَقينيٌّ، يكون لنا حجَّة عند الله تعالى في مخالفة الظاهر، وإخراج الظاهر عن ظاهره.

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت، رقم (٢٤٧٩).

فنحن إلى الآن نعتقد أن اختلاف الليل والنهار إنما هو باختلاف الشمس بدورانها على الأرض، إذ تطلُع وتغرُب، ففي القرآن الكريم يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٧]، فهذه أربعة أفعال أُسندت كلُّها إلى الشمس، والأصل في الفعل المسنَد أنه وَصْف لما أُسند إليه.

وقال الله تعالى في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص:٣٢]، قال المفسِّرون رحمهم الله: أَي: الشمس تغطت بالحجاب، فهي المتوارية، ولسنا نحن المتوارين عنها.

وهذا حديث أبي ذر رضي الله عنه صريحٌ في وصف هذا الذهاب كما هو -أيضًا- في القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس:٣٨]، فأَيُّ عُذر لنا أن نُقابل الله تعالى، فنقول: الشمس لا تجري، ولا تذهب، ولا تطلُع، ولا تشرِق، ولا تَزَاور، ولا تَقْرِض؟! ليس لنا عذر، نعم! لو ثبت هذا ثبوتًا مثل الشمس، أن الليل والنهار يتعاقبان على الأرض بسبب دوران الأرض لأمكن أن يؤول ظاهر الآيات إلى أنها تطلع، وتغرب، وتزاور، وتقرض باعتبار رأي العين، والله تعالى يخاطب الناس بما تدركه عقولهم.

* * *

باب بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

١٦٠- حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ؛ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم أَخْبَرَتْهُ؛ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ أُولَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا؛ حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ! قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ -قَالَ:- فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ! -قَالَ:- قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ -قَالَ:- فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ! فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾»، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي! زَمِّلُونِي!»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي؟!»، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ قَالَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا! وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ

أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْـجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ؛ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ؛ قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم خَبَرَ مَا رَآهُ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ؛ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟!»؛ قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ! لَـمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا»[١].

---

[١] **قال المؤلف رحمه الله**: «حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ...»، هنا تُرجم للأحاديث بباب بدء الوحي إلى رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم.

والوحي له معانٍ متعددة:

منها: الإلهام، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل:٦٨].

ومنها: مجرد الإعلام بخُفْية، مثل أن تقول: أوحيت إلى فلان، أي: حدَّثْته سرًّا.

ومنها: الإعلام بالشرع، وهو الوحي الذي يكون للرسل عليهم الصلاة والسلام.

ورسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ابتدئ به الوحي في ربيع الأول، وكان أول ما بُدئ به أنه كان يَرى الرؤيا في النوم، فتأتي مثل فلق الصبح، ثم نزل

عليه الوحي في رمضان، فكان بين أول الوحي ونزول القرآن ستة أشهر، وستة أشهر من ثلاثة وعشرين سنة تعني: جزءًا واحدًا من ستة وأربعين جزء من النبوة، ولهذا جاء في الحديث: «**الرُّؤْيَةُ الحَسَنَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»[1].

وهاهي عائشة رضي الله عنها تحدِّث عن بَدْء الوحي على رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم.

فإذا قال قائل: هل يُعتبر حديثها متصلًا أو منقطعًا؟ لأنها قطعًا لم تدرك ذلك الوقت؟

فالجواب: أنه متصل؛ لأنها زوج النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، فقد حدثها بذلك، وهي -وإن لم ترفعه إلى الرسول- فإنها اكتفت بالمعلوم.

وقولها رضي الله عنها: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»، يعني: تأتي واضحةً بيِّنَةً، كما أن فلق الصبح واضح بيِّن.

وقولها رضي الله عنها: «ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْـخَلَاءُ»، يعني: الخلوة والبعد عن الناس؛ لأنه كَرِهَ ما عليه الناس من عبادة الأوثان، وغير ذلك من أمور الجاهلية، فكان يخلو بغار حِراء.

وغارُ حراء هو الذي يكون على يمين الداخل إلى مكة مِن قِبَل قرن المنازل والشرائع، وهو جبل رفيع جدًّا، وفي صعودِه مشقَّة، وإذا صَعِده الإنسان الشاب

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التعبير، باب رؤيا الصالحين، رقم (٦٩٨٣)، ومسلم: كتاب الرؤيا، رقم (٢٢٦٣، ٢٢٦٤، ٢٢٦٥).

استوعب ما بين الأرض وقمة الجبل حوالي خمسًا وأربعين دقيقة، أو أكثر، مع صعوبة الصعود، وكل ذلك من أجل أن يبتعد عن الناس عليه الصلاة والسلام.

وقولها: «يَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ-» التحنث: التعبد، وتفسير هذا من الزهري رحمه الله، وإنما فسره بذلك؛ لأن أصل الحِنْث: الإثم، فيكون معنى يتحنَّث -لو أخذنا بظاهرها-: يتأثَّم، وليس كذلك؛ بل المراد ضد ذلك، وهو التعبُّد.

ولم تبيِّن عائشة رضي الله عنها بماذا يتحنَّث؟ أبشريعةٍ؟ أم بإلهامٍ؟ أم ماذا؟ **ولهذا يجب علينا أن نتوقَّف، ونقول:** مادام أنه لم يثبُت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان يتحنَّث بشيء معيَّن، فواجبنا السُّكُوت، فقد يكون بإلهام من الله تعالى، أو بمجرَّد تسبيحٍ وتهليلٍ، أو ما أشبه ذلك.

وقولها رضي الله عنها: «اللَّيَالِيَ أُولَاتِ الْعَدَدِ»؛ «اللَّيَالِيَ»، ظرف زمان، يعني: يذهب ويبقى عدَّة ليال، ويتزوَّد لنفسه، ثم يرجع إلى أهلِه، وأهلُه في ذلك الوقت خديجة رضي الله عنها.

وقولها: «وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا؛ حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ»، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام؛ لأنه الموكَّل بالوحي، ومعنى «فَجِئَهُ»: أي جاءَه فَجْأة.

وقوله: «فَقَالَ: اقْرَأْ! قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» والمعنى: لست ممن يعرف القراءة، وليس المعنى العصيان؛ بل معناها: أنني لست ممن يعرف القراءة.

وقوله: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ -قَالَ:- فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ» غطَّه، يعني: ضمَّه ضمًّا شديدًا، حتى بلغ منه الجهد، أي: بلغ إلى حدٍّ هو طاقة النبي عليه الصلاة والسلام.

وقوله: «ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ! -قَالَ:- قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ -قَالَ:- فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ! فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ...﴾» وإنما فعل به ذلك من أجل أن يكون على استعداد تامٍّ لما سيُلقى إليه، ويعرف أنَّما نزل عليه هو الحياة، كما أن إرسال جبريل عليه الصلاة والسلام له بعد هذا الغطِّ الشديد يعتبر ابتداء حياة؛ لأجل أن يربط بين الحياة الجسدية والحياة القلبية؛ لأن القرآن رُوح كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥].

قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فبدأ بالقراءة، ثم ذَكَر الخلق كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾؛ لأن العناية بالشرع أولى من العناية بالخلق، ولهذا يجب على الإنسان أن يعتني بإيمانه وقلبه ورُوحه؛ أكثر مما يعتني بجسده؛ بل إن الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم جعل العناية بالأجساد من صفات القرون المفضولة؛ فقد ذكر القرون المفضلة، ثم ذَكَر مَجيءَ قومٍ بعد ذلك، وذَكَر من صفاتهم: أنهم «يظهر فيهم السِّمَن»، وذلك لعنايتهم بأبدانهم.

وقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ولم يذكر البسملة، وهو دليل على أن البسملة ليست من السورة، لا في اقرأ، ولا في الفاتحة، ولا في غيرها من السور.

وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ المراد بالإنسان: الجنس، فيشمل الذكر والأنثى، والمراد به -أيضًا- بنو آدم، أما آدم فقد خُلق من ترابٍ جُعل طِينًا فبقي مدَّة، حتى صار حَمَأً.

وقوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ في هذا إشارة إلى أن هذه القراءة مِن كرم الله عزَّ وجلَّ، وأنها تشتمل على الخير الكثير.

وقوله: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ربط القراءة بالقلم واضح جدًّا، وهو أن المقروء يحفظ في الصدور، ويحفظ في المسطور بالأقلام.

وقوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ هذا التعليم للإنسان مما لا يَعلم، يكون بالوحي والشرع، ويكون بالتجارِب.

فيبدأ الإنسان أحيانًا في صناعة آلة من الآلات، دون أن يقرأ عنها في كتب، ثم يحاول مرة بعد مرة، ويقلِّب المواد الخام، فإذا به يُخرِج صناعة من أحسن الصناعات؛ لأن هذه الصناعات التي نشاهدها الآن باختلاف أنواعها ليست في القرآن ولا في السُّنَّة! وإنما هي بعِلم الله عزَّ وجلَّ بما يُلهمه اللهُ تعالى الإنسانَ، أو يحصل عليه بالتجارِب.

فالله تعالى هو الذي علَّم الإنسان ما لم يَعلم، وليس بشرطٍ أن يكون التعليم عن طريق الإلهام، أو عن طريق التجارِب حتى يَصِلَ الإنسان إلى ما وَصَل الناسُ إليه اليوم.

وقولها رضي الله عنها: «فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ» البوادر: هي ما بين العنق والكتف، والمعنى أنها تهتز فزعًا؛ لأنه عليه الصلاة والسلام جاءه أمر لم يكن له على بال؛ بل جاءه مفاجأة.

وقولها: «حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي! زَمِّلُونِي!»، يعني: غطوني، فَزَمَّلُوهُ؛ لأجل أن يسكن روعه، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي؟!»، (أي) هنا: حرف نداء، ينادَى بها القريب.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «مَا لِي؟!» يعني: يسأل ما الذي حصل لي؟ ثم قصَّ عليها الخبر.

وقوله: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» خشي على نفسه صلى الله عليه وسلم الموت، أو الفزع حتى يذهب عقله، و ما أشبه ذلك.

فيحتمل أنه خشي الموت من شدة الغَطِّ، ويحتمل أنه خشي ذهاب عقله من شدة الفزع، حيث أتاه ما لم يكن يعرفه من قبل، وفي هذا المكان الخالي.

وقولها رضي الله عنها: «قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها: كَلَّا أَبْشِرْ»، فقولها: كلَّا، أي: لا تَخَفْ، وهذا لنفي ما يخاف منه، وأبشر، لحصول ما يأمله، فجمعت له رضي الله عنها بين النفي والإثبات، بين النفي المستفاد من قولها: كلا، والإثبات من قولها: أَبْشِرْ ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا! وفي بعض الألفاظ: لا يحزنك الله أبدًا.

ثم ذكرت الأسباب؛ فأقسمت رضي الله عنها أن الله لا يخزيه، وهذا من فِراستها؛ لأن رجلًا هذا خلقه، لا يخزيه الله عزَّ وجلَّ.

قالت رضي الله عنها «وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ»: الرحم هم القرابة، وهم من يجتمعون بك في الجد الرابع، هؤلاء هم القرابة.

والرسول عليه الصلاة والسلام كان وَصُولًا لرحمه، وكان من أعظم الناس صلة.

وقولها: «وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ» أي: لا تُحدِّث إلا بصدق؛ لأنه لم يجرَّب عليه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم كذبًا.

وقولها: «وَتَحْمِلُ الْكَلَّ» الكَلَّ يعني: الذي لا يجد ما يحمِل نفسه عليه؛ لضعفه وفقره، وكان النبي عليه الصلاة والسلام من أشدِّ الناس إحسانًا على من احتاج إليه.

وقولها: «وَتَكْسِبُ الْـمَعْدُومَ» يعني: أنك تُحصل المعدوم باجتهادك حتى توصله إلى غيرك، وتحسن إليه.

وقولها: «وَتَقْرِي الضَّيْفَ» فإذا نزل بك ضيف أكرمته بقِرًى، والقرى: ما يقدم للضيف، ويسمى: النُّـزُل.

وقولها: «وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْـحَقِّ» هذه عامَّة، ونوائب: جمع نائبة، وهي ما يعرِض للإنسان، وكان النبي عليه الصلاة والسلام أكثر الناس عونًا على نوائب الحق، أما ما ينوب من باطل، فالرسول صلَّى الله عليه وسلَّم أبعد الناس منه، ولا يعين عليه، ولا يفعله.

وقد تحصل من ذلك ست صفات اتصف بها النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، ومن كانت هذه صفته، فإن الله تعالى لا يخزيه، وهذا استنتاج من عمل سابق يجني الإنسان ثمراته في المستقبل.

فإذا وجدت إنسانًا على هذا الحال؛ فاعلم أن الله سيوفقه إلى الخير، وعكسه بالعكس إلا أن يشاء الله.

وقولها: «فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا» قولها: أخي أبيها، عطف بيان للعم.

وقولها: «وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْـجَاهِلِيَّةِ»، أي: اعتنق دِين النصارى؛ لأنه رجل ذكي عاقل، عرف أن ما عليه أهل الجاهلية ليس بدين، فتحرَّى آخر الأديان فدَانَ به، وهو دِين النصرانية، أي: دين عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام؛ لأنه ليس بينه وبين النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم نبي، فهو آخر الأديان، فأخذ به.

وقولها: «وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ» وغالب العرب في ذلك الوقت لا يكتبون، لكنه تعلَّم الثقافة، وصار يكتب، ويكتب من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب.

وقولها: «وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ؛ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ!» وفي الألفاظ الأخرى: «أي ابن عم» لأنه ابن عمها حقيقة، وعمها إكرامًا، واحترامًا؛ لأنه أكبر منها سنًّا، وكان من عادة العرب أنهم يلقبون، أو يكنون الأكبر سنًّا بالعم.

وقولها: «اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ» والرسول عليه الصلاة والسلام ليس ابن أخٍ لورقة من حيث النسب، ولكن لعله من حيث النسب العام، وهو العروبة.

وما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه لقول خديجة رضي الله عنها: «يا ابن عم»؛ قال: قولها: يا ابن عم، هذا النداء على حقيقته، ووقع في مسلم: يا عم، وهو وهمٌ؛ لأنه وإن كان صحيحًا فمراده التوقير، لكن القصة لم تتعدد، ومخرجها متَّحد، فلا يحمل ذلك على أنها قالت ذلك مرتين، فتعيَّن الحمل على الحقيقة، وإنما جوَّزنا ذلك فيما مضى في النصراني، والعبراني؛ لأنه من كلام الراوي في وصف ورقة، واختلفت المخارج، فأمكن التعداد، وهذا الحكم يطرد في جميع ما أشبهه[1]. انتهى كلام الحافظ

وكلامه رحمه الله جيد، لكن يجاب عنه بأن القصة واحدة، لكن الرواة بعضهم قال: عمٌّ، وبعضهم قال: ابن عمٍّ، والقصة محتملة أنها قالت: يا عمِّ، أو أنها قالت: يا ابن عمٍّ، لم تقل ذلك مرتين لا شك، لكن قالت أحد اللفظين؛ لأن

(١) فتح الباري (١/ ٢٥).

القصة واحدة -كما قال- لكنه رجَّح: (ابن عمٍّ) وحكم بالشذوذ في الأخرى؛ لأن (ابن عمٍّ) هو المطابق للحقيقة، و(عمٍّ) لا يقال إلا للتوقير، فكان حمله على الحقيقة أولى من حمله على التوقير.

وقولها: «قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم خَبَرَ مَا رَآهُ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم» ومعنى الناموس: أي صاحب السر، ومراده: الرسول الذي ينزل بالوحي على موسى، وقد علم ذلك مما قرأه من كتب بني إسرائيل.

ثم تمنى فقال: «يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا!» يتمنى أنه الآن جذع، يعني: صغيرًا، وفي العبارة إشكال نحوي، وهو نصب جذع، إذ المتوقع أن يقول: يا ليتني فيها جذع، ولكن لها تخريجان:

التخريج الأول: أن يكون خبرُ ليتَ، الجارُ والمجرور (فيها)، يعني: يا ليتني كائن فيها، وتكون جذعًا، حالًا من الضمير المستتِر في كائن الذي هو متعلق بخبر.

والتخريج الثاني: أن تكون جذعًا خبرًا لكان المحذوفة، والتقدير: يا ليتني فيها كنت جذعًا، وإنما قلنا ذلك؛ لأن اللسان العربي لا يُمكن أن يأتي بخبر ليت منصوبًا.

وقوله: «يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ»، سبحان الله! هذا من فراسته، واستدلاله بالماضي على المستقبل، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟!»؛ فقد استغرب، واستنكر أن قومه يخرجونه؛ لأنه ليس من شيمة العرب، وكرمهم أن يخرجوا أحدًا من قومهم إلا محمدًا عليه الصلاة

والسلام، لما جاءهم الحق وعادوه، سَهُلَ عليهم إخراجه، فتآمروا فيما بينهم: ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال:٣٠].

وقولها: «قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ!»، يعني: سيخرجونك؛ قال: «لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ»، والذي يعاديه قومه، وسُنَّة الله تعالى لا تبديل لها؛ قال: «وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا»، يعني: إن أَبقى حتى أُدرك هذا اليوم - الذي تخرج فيه- فإني أنصرك نصرًا مؤزرًا، أي: نصرًا فيه قُدرة، وقوة؛ لأن الوزير معناه المعاون المساعد، فهذه قصة الوحي، وحينئذٍ نسأل: يقال: إن ورقة يعتبر أول من آمن به؟

الجواب: نعم، هو أول من آمن به؛ لأن الرجل آمن، وتمنى أن يكون حيًّا، وقال: إن يدركني يومُك أنصرك نصرًا مؤزرًا، لكنه لم يُدرك ذلك، لأنه مات قبل أن يكون محمد صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم رسولًا، فلم يُدرك زمن الرسالة، إلا أنه يعتبر صحابيًّا، لأنَّ حدَّ الصحبة ينطبق عليه، فإن الصحابي: من اجتمع بالرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم مؤمنًا به، ومات على ذلك، لكن أول من آمن به بعد الرسالة من الرجال أبو بكر رضي الله عنه، **وعليه فيجوز الترضي عنه لأنه صحابي.**

فإن قيل: إذا كانت النصرانية موجودة قبل الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان فيها الشيخ ورقة بن نوفل، وموثوقًا فيه، لماذا لم يعتنق الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم المسيحية قبل الإسلام؟.

فالجواب: أن الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ما خرج من مكة، ولهذا قصة بَحِيرا -إن صحت- فقد رجع به عمه، فأرسله عمه بعد أن كان يريد أن يذهب به إلى الشام.

١٦٠- وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ قَالَ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم مِنَ الْوَحْيِ؛ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ؛ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَوَالله لَا يُخْزِنُكَ اللهُ أَبَدًا، وَقَالَ: قَالَتْ خَدِيجَةُ: أَيِ ابْنَ عَمِّ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ.

١٦٠- وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ: قَالَتْ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: فَرَجَعَ إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ؛ وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ، بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ وَمَعْمَرٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَوَّلَ حَدِيثِهِمَا مِنْ قَوْلِهِ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ. وَتَابَعَ يُونُسَ عَلَى قَوْلِهِ: «فَوَالله لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا»، وَذَكَرَ قَوْلَ خَدِيجَةَ: «أَيِ ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ»

١٦١- وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله الأَنْصَارِيَّ -وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم- كَانَ يُحَدِّثُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ؛ قَالَ فِي حَدِيثِهِ: «**فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «**فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي! زَمِّلُونِي! فَدَثَّرُونِي؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾**»، وَهِيَ: الأَوْثَانُ، قَالَ: «**ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ**».

١٦١- وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِالرَّحْمَنِ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم يَقُولُ: «ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنِّي فَتْرَةً فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي...»؛ ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ يُونُسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ». قَالَ: وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَالرُّجْزُ: الأَوْثَانُ، قَالَ: ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ بَعْدُ وَتَتَابَعَ.

١٦١- وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهَذَا الإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثِ يُونُسَ، وَقَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ؛ -وَهِيَ الأَوْثَانُ -وَقَالَ: «فَجُئِثْتُ مِنْهُ» كَمَا قَالَ عُقَيْلٌ.

١٦١- وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى يَقُولُ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. فَقُلْتُ: أَوِ اقْرَأْ؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. فَقُلْتُ: أَوِ اقْرَأْ؟ قَالَ جَابِرٌ: أُحَدِّثُكُمْ مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم قَالَ: «جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْـهَوَاءِ -يَعْنِي: جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ-؛ فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي! فَدَثَّرُونِي فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

١٦١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْـمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْـمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَقَالَ: «فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[1].

---

[١] في الحديث الأول -في مسألة الوحي- وليس فيه إشكال إلا قوله: إن أول ما نزل على رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، ولكن الجمع بينه وبين حديث عائشة رضي الله عنها سَهْل -والحمد لله-؛ وهو أن يقال: هذه أوَّلية نِسْبية، أي: بالنسبة لانقطاع الوحي، أي: أول ما أنزل عليه بعد انقطاع الوحي: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾.

ولهذا قال أهل العلم: إن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم نُبئ بـ(اقرأ) وأُرسل بـ(المدثر)، حيث صار نبيًّا بـ(اقرأ)؛ لأنه نزل عليه الوحي، وأرسل بالمدَّثر، أي: قيل له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾، وبقية الحديث لا إشكالَ فيه.

وهل يؤخذ من قولها رضي الله عنها: إنه حبِّب له الخلاء، هل نقول إن الإنسان يعتزل الناس ويتركهم ويتعبد لحاله؟ فالجواب: أن هذا له تعلق بمسألة الخلطة والعزلة، وأيهما أفضل للإنسان؟ نقول: أما من كان وجوده مع الناس خيرًا له وللناس، فالأفضل أن يبقى ويصبر، ويدعو إلى الله عزَّ وجلَّ.

وأما من كان دون ذلك، أي أنه يخشى على نفسه في دينه، فله أن يعتزل الناس، ولهذا قال النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمًا يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ، وَمَوَاقِعِ القَطْرِ؛ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب من الدِّين الفرار من الفتن، رقم (١٩).

باب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ

١٦٢- حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ؛ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ -قَالَ:- فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ -قَالَ:- فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ -قَالَ:- ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ؛ فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ؛ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ؛ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ؛ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ؛ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؛ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ؛ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ؛ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؛ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ؛ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ؛ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ؛ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم؛ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؛ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: جِبْرِيلُ؛ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ؛ قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؛ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ؛ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ؛ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ؛ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ؛ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؛ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ؛ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ؛ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؛ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ؛ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ؛ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم؛ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؛ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ -قَالَ:- فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا؛ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي؛ فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي؛ فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى؛ فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا؛ قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ -قَالَ:- فَلَمْ

أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً؛ وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً -قَالَ:- فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»[١].

---

[١] قوله: «باب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ»؛ الإسراء: هو السير ليلًا، وأَسْرَى به، يعني: سار به ليلًا، والمعراج من العروج، وهو الصعود.

وليلة الإسراء، هي ليلة المعراج، لكن الإسراء في الأرض، والمعراج في السماء.

ولقد أشار الله تعالى إليهما في كتابه: أما الإسراء ففي قوله: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١].

وأما المعراج ففي سورة النجم: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النجم:١٨].

والإسراء والمعراج ثابت، وكائن بجسد النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم وروحه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١]، وقال: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم:١٠]، وقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧]. وكل هذا يدلُّ على أنه أُسري به بجسده وروحه عليه الصلاة والسلام.

ومما يدل على ذلك -من الناحية العقلية- أن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم لما حدَّث قريشًا به كذَّبوه، وأنكروا ذلك أشدَّ الإنكار، ولو كان إسراءً بالروح -بمنزلة المنام- ما كذبوا ذلك؛ لأن قريشًا لا تنكر المنامات.

وهذا الإسراء شَرَف للنبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وشَرَف لأمته، وآية من آيات الله العظيمة، الدالة على كمال قدرته تبارك وتعالى، حيث إن محمدًا صلوات الله وسلامه عليه سار من مكة إلى بيت المقدس، ومن بيت المقدس إلى أعلى مكانٍ يَصِل إليه البشر، ثم رجع من ليلته إلى مكَّة، وصلَّى بمكة الصبح.

ذكر المؤلف رحمه الله عدَّة ألفاظ في حديث الإسراء والمعراج، قال: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ؛ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ**» وهذا يدل على أنه يطير طيرانًا؛ لأنه إذا كان يضع حافره عند منتهى طرفه، فمنتهى طرفه سيكون بعيدًا، لاسيما مثل هذا الدابة التي تكون بهذه القوة، فهو يقفز قفزَ طيرانٍ، ولذلك وصل إلى بيت المقدس، ورجع في ليلة واحدة.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «فَرَكِبْتُهُ» وهذا حق، وهذا البراق لا ينبغي أن نبحث عند من؟ ومن أين نزل؟ وهل نزل من السماء؟ أو خرج من الأرض؟ وما أشبه ذلك مما يفرضه الذهن، ويتكلَّفه الفكر، **كل هذا لا يجوز أن نبحث فيه؛** لأن من سبقنا خيرٌ منا -بلا شك- ولم يبحثوا عنه، ولأن من سبقنا يواجهون الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو أعلم الناس بمثل هذه الأمور، فلو كان ذلك أمرًا مشروعًا، أو أمرًا مستساغًا؛ لهدى الله هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم إلى أن يسألوا النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم؛ لأنهم إذا سألوه، فهو أقرب الناس أن يكون له علم بذلك، أما أن يسألوني أنا وزيدٌ وعمرٌو؛ فنحن مثلهم في هذه

الأمور، كلها أمور غَيبية، فلا ينبغي السؤال: من أين جاء؟ ومن أين ولد؟ وعند من يكون؟ وما أشبه ذلك، بل نقول: آمنا بالله ورسوله، وصدقنا.

وقوله: «**حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ**»؛ وكان ذلك يقظة.

وقوله: «**ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ؛ فَقَالَ جِبْرِيلُ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ**»؛ لأن اللَّبَن أنسب ما يكون للبدن، وأحسن ما يكون غذاءً؛ لأن اللبن غذاء وشراب، ولهذا كان أول طعام يطعمه الإنسان هو اللبن، من حين يخرج من بطن أمِّه.

أما الخمر، فكما تعلمون شرابٌ مصنوعٌ، وربما يكون فيه الإسكار، فيفوت المقصود، ومعلومٌ أنَّ هذا كان قبل تحريم الخَمْر؛ لأنَّ هذا كان في مكة، وتحريم الخمر كان في المدينة.

وقوله: «**عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ**» عرج بنا، يعني: عرج ونحن معه، أي: عرجنا جميعًا، هذا هو الظاهر، وليس المعنى عرج بي، ولكنه أتى بـ(نا) الدالة على العظمة.

ومعنى (عَرَجَ)، يعني: صَعِد إلى السماء.

وقوله: «**فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ؛ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ؛ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ**»، سبحان الله! هذه السماء سقف محفوظ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا**﴾ [الأنبياء:٣٢]، محفوظ من كل وجهٍ، لا يمكن لأحد أن يدخله إلا بإذنٍ، ولابدَّ أن يكون هذا الآذِن قد عُلِم وجهُ إِذْنه، ولهذا سألوا: من هذا؟ «**قَالَ: جِبْرِيلُ؛ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ؛ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ**

إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ»، هذه الأسئلة، هل لها مفهوم؟ بمعنى أنه لو قال: لم يبعث إليه سوف يفتحون أو لا يفتحون؟ أو أرادوا أن يتحققوا، ويعرفوا منزلة هذا الذي معه؟ **الثاني هو المتعيِّن.**

وقوله: «فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ» وسيأتي أنه قال: «إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لَهُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ» ربما يقول الإنسان: آدم في الأرض، فما الذي أوصله إلى السماء؟ نقول: هذا من السؤال المتكلَّف، وهذا سؤالُ مُتَنَطِّع، قل: آمنت بالله ورسوله.

فإن قال قائل: وُجِد آدم روحه متمثلة على صفة جسده؟!

فيقال: ما لك ولها؟ لست أحرص -والله- على العِلم من الصحابة رضوان الله عليهم، نقول: وجد آدم -كما جاء في الحديث.

وبهذا يستريح الإنسان من إيراد مثل هذه الأمور على نفسه، ومن إيراد غيره عليه، فنقول: لا نتعدى، لا نتجاوز؛ وجَد آدم، وسلَّم عليه، ورحَّب به؛ فمالَكَ ولِقولِ: روحه ممثَّلة بجسده؟!.

وقوله: «ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ» وقال مثلما قال في الأولى: «فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ؛ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ» كما سيأتي في الألفاظ الأخرى، وقالا: «مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ».

وقوله: «ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ...» إلى أن قال: «فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي

بِخَيْرٍ» يوسف هو: ابن يعقوب عليهما السلام، ولقد أنزل الله في قصته سورة كاملة، وهو مِن أحسن الناس وجهًا وجمالًا، ولذلك لما رأته النِّسوة أكبرنه، وقطعن أيديهن، وهذا من كيد امرأة العزيز لهن، لما قالت هؤلاء النسوة: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف:٣٠]؛ كأنها فهمت أنهن يردن من هذا الكلام أن يطلعن عليه؛ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ [يوسف:٣١]؛ فخرج، فلما رأينه بدأت كل واحدة تقطع يدها بالسكين، ذهلت حتى عن نفسها؛ ﴿أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:٣١]؛ ولهذا أُعطي شَطْر الحُسن.

فإن قال قائل: كيف الجمع بين هذا وبين قول أنس بن مالك -وغيره من الصحابة رضي الله عنهم-: «إن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم كان أحسن الناس وجهًا»؟

الجواب: الجمع في هذا سهل، وذلك بأن يقال: إن قوله: أحسن الناس وجهًا في زمانه، وليس المراد كل بني آدم.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلى أن قال: **فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ»** وإدريس من بني إسرائيل، وأخطأ من جعله قبل نوح، كما يوجد في شجرة تسلسل نسب النبي عليه الصلاة والسلام إلى آدم عليه السلام، وفيها أن إدريس فوق نوح، وهذا لا شك أنه كذب، ووجه كذبه قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣]، وإدريس نبيٌّ، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦].

وكلُّ الأنبياء بعد نوح، فكيف يكون من آباء نوح؟ ثم إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد:٢٦]؛ فتأمل قوله: ﴿فِي ذُرِّيَّتِهِمَا﴾، ولو كان إدريس فوق نوح عليهما الصلاة والسلام، لكان منافيًا لهذه الآية، فالصواب الذي لا شك فيه أن إدريس ليس فوق نوح، وأنه من بني إسرائيل؛ لأنه يذكر في بني إسرائيل.

وقوله: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾» [مريم:٥٧]، الظاهر: أن هذا القول مدرجٌ، إما من أنس رضي الله عنه، أو ممن بعده.

وقوله: «ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلى أن قال: فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ» هارون عليه الصلاة والسلام هو أخو موسى من أبيه وأمه، وليس كما ظن بعض الناس أنه أخوه من أمه لقوله: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ [طه:٩٤]؛ بل هو أخوه من أبيه وأمه، ولكنه قال: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ من باب التلطف والتحنُّن؛ لأن الأمَّ أشدُّ حنانًا من الأب.

وقوله: «ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ... إلى أن قال: فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ...» وذكر الحديث.

وقوله: «ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلى أن قال: فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ» وهو فوق الأنبياء كلهم في السماء السابعة.

وقوله: «الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ» هو الذي ذَكَره الله تعالى بقوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور:٤]، هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف مَلك، لا يعودون إليه، منذ خلق الله تعالى الدنيا، ويأتي بعدهم ملائكة آخرون، وهلم جرًّا.

وقد قيل: إنه يحاذي الكعبةَ في الأرض، ولكن في ذلك نظر، وهل الملائكة يطوفون به أم يدخلون فيه؟ جاءت الألفاظ بهذا وبهذا، فلعلَّهم يطوفون ويدخلون ولا تنافي بينهما.

وهذا مما يدلُّ على كثرة الملائكة عليهم الصلاة والسلام، وفي الحديث: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ قَائِمٌ لله؛ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ**»، والسماء سِعَتُها عظيمة، والثانية أوسع من الدنيا، والثالثة أوسع من الثانية، وكل ما بعدت المسافة اتَّسَعَ السقف.

وقوله: «**يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ**» يدلُّ على أن هذا البيت بيت كبير، هذا إذا كانوا يدخلون جملة واحدة، فأما إن كانوا يدخلون ويخرجون، يعني: إن كان بعضهم في الساعة الأولى، وبعضهم في الساعة الثانية، وما أشبه ذلك، فليس فيه دليل واضح على أنه كبير.

وقوله: «**ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى**» سدرة المنتهى سميت بذلك؛ لأنه ينتهي إليها ما يَصْعَد إلى السماء، وفي ألفاظ أخرى: أن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم جعل يَسْمع صَرِيف الأقلام، التي يُكتب بها القَدَر؛ لأنه كل يوم في شأن -عزَّ وجلَّ- يَكتب ما يشاء، ويَمحو ما يشاء.

وقوله: «**وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ**» آذان الفيلة معروفة، ضخمة، كبيرة، وشجر النَّبِق المعروفة في الدنيا صغيرةٌ أوراقُها.

وقوله: «**ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ**» ثمَر السِّدر يسمُّونه: النَّبِق، والقِلال جمع قُلَّة، وهي جَرَّة تسمى عندنا: (الزِّير)، تَسَعُ قِرْبَتين وشيئًا تقريبًا، ولهذا قال الفقهاء رحمهم الله في تقدير القُلَّتَيْن: إنها تَسَعُ خَمْسَ قِرَب.

وقوله: «فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ» يعني: تغيَّرت أوصافها، ويحتمل أنها تغيَّرت حتى أعيانها.

وقوله: «فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا» وهذا هو قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم:١٦]؛ أي: من الحُسْن.

وقوله: «فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ» وهي تستوعب -تقريبًا- نصف الوقت -هكذا نُقَدِّر-، لاسيما إذا كان بين كل صلاة وأخرى وقت ممتد، فسوف تستغرق وقتًا كثيرًا من الزمن.

وقوله: «فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ» يعني: ولن تستطيع أمَّتك هذا، ولكن هذا القياس قياس مع الفارق؛ لأنَّ هذه الأمَّة أقرب امتثالًا لأمر الله تعالى من بني إسرائيل؛ ولهذا لم يكن عندهم ما عند بني إسرائيل مِن المكر والحيل، وغير ذلك مما هو معروف؛ بل لقد ابتلاهم الله تعالى بالصيد تنالُه أيديهم ورماحُهم، وهم محرمون، وما أحدٌ منهم صاد صيدًا واحدًا؛ وبنو إسرائيل ابتلاهم الله تعالى بالحيتان، فعجزوا عن الصبر، وتحايلوا، ووضعوا الشباك، كما هو معروف.

والحاصل: أنَّ مِن نعمة الله عزَّ وجلَّ أن يسَّر اللهُ تعالى موسى عليه الصلاة والسلام فقال هذا القول للنبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم.

وقوله: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي؛ فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي؛ فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى؛ فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا؛ قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً»، اللهم لك الحمد! خمس صلوات، وكل صلاة عن عشر صلوات، فيكون الجميع خمسين صلاة، لكل صلاة عشر حسنات؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها؛ إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وليس التضعيف أن تكون الواحدة بعشر، وليس هو التضعيف المعروف: كل حسنة بعشر أمثالها؛ بل هذا يعتبر كأن الإنسان صلَّى خمسين صلاة بالفعل، ولذلك قال سبحانه وتعالى: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً»؛ قال: (خمسون صلاة)، وليس: (خمسون ثواب صلاة).

وقوله: «وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» فالحسنة تُكتب بعشر حسنات، والسيئة بواحدة، فإن لم يعملها، فهنا يقول: لم تكتب شيئًا، وقد سبق أنها تكتب حسنة كاملة، لكن ما سبق فيه التعليل، وهو قوله: «إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي» أي: مِن أَجْلي، وقد سبق التفصيل في ذلك، وبينَّا أن تارك السيئة له أحوال[1].

ثم قال صلى الله عليه وسلم: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

وهذا الحديثُ دليلٌ على فوائدَ كثيرةٍ جمَّة:

١ - منها: بيان قُدْرَة الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) انظر: (ص:٣٨٢).